

التحويلات الجمالية للأشكال الأسطورية في فخار العراق القديم

علي جرد كاظم الحميري

جامعة القادسية /كلية الفنون الجميلة /قسم التربية الفنية/العراق

b.m_73@yahoo.com

معلومات البحث
تاريخ الاستلام: 2020 / 9 / 16
تاريخ قبول النشر: 2020 / 10 / 14
تاريخ النشر: 2020 / 12 / 12

المستخلص

يتناول هذا البحث التحويلات الجمالية للأشكال الأسطورية في فخار العراق ومدى تأثير الفنون بها خلال العصر البابلي القديم والتي بدت بأساليب فنية متنوعة من حيث الشكل والموضوع، لما تحمله هذه المنحوتات والأشكال من نظم بنائية وحمولات فكرية. عمد الباحث إلى الكشف عن تصوير هذه الأشكال والمنحوتات للتخصص والمنحوتات التي كانت تحمل تحولات جمالية. تتلخص مشكلة البحث في التحويلات الحاصلة للأشكال الأسطورية بطبيعة العمل الفني ومدى تأثير الفنون بها خلال العصر البابلي القديم ويهدف البحث إلى التعرف على التحويلات الجمالية للأشكال الأسطورية في فخار العراق القديم خلال العصر البابلي القديم 1500-2004 ق.م. ثم عرف البحث مفهوم التحويلات الجمالية والفكر الأسطوري القديم وتنوعات فن العراق القديم. تم اختيار أربع عينات قصدية توصل الباحث بعد تحليلها إلى أن المنحوتات الأسطورية والأنثوية في العصر البابلي القديم وهي عارية حاول الفنان هنا التأكيد هو تناسق الأعضاء واختفاء لمحة من الأنثوية عليها وبيان المفاتن التي تميز بها جسد الأنثى. كما وصورت بعض المشاهد الأسطورية على الألواح الفخارية العراقية القديمة بنوع من الغرابة ليخرج بها على الشكل الواقعي فيأخذ طابعاً أسطورياً .

الكلمات الدالة: التحويلات الجمالية . الأشكال الأسطورية . فخار العراق القديم .

Aesthetic Transformations of Mythical Forms in Ancient Iraq Pottery

Ali Jard Kadhim Al-Hamiri

Department of Art Education/ College of Fine Arts/ Al – Qadisiyah University/Iraq

Abstract

This research deals with the aesthetic transformations of the mythical forms in the pottery of Iraq and the extent to which the arts were influenced by them during the ancient Babylonian era, which appeared in a variety of artistic styles in terms of form and subject, due to what these carvings and shapes bear in terms of constructive systems and intellectual loads. The researcher unveiled the depiction of these shapes and carvings for the specialty and the sculptures that carried aesthetic transformations. The research problem is summarized in the transformations occurring to mythical forms by the nature of the artwork and the extent to which the arts were affected by them during the ancient Babylonian era. The research aims to identify the aesthetic transformations of mythical forms in the pottery of ancient Iraq during the ancient Babylonian era from 2004 to 1500 BC. Then the research defined the concept of aesthetic transformations, the ancient mythical thought, and the diversities of the art of ancient Iraq. Four intentional samples were chosen, which the researcher concluded after analyzing that the mythical and feminine sculptures of the ancient Babylonian era were naked. The artist tried here to confirm the symmetry of the organs, the disappearance of a glimpse of femininity on them, and the statement of the charms that characterize the female body. Some mythical scenes were also depicted on the ancient Iraqi clay tablets, in a kind of strange way, so that it came out in a realistic way and took a mythical character.

Key words: aesthetic transformations. Mythical forms. Pottery of Ancient Iraq.

by University of Babylon is licensed under a Journal of University of Babylon for Humanities (JUBH)

[Creative Commons Attribution 4.0 International License](https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/)

1. المقدمة

1.1. مشكلة البحث

خلفت لنا الفنون العراقية القديمة صورة حية عن الرقي الذي شهدته الحضارات المتعاقبة وكان الفنان العراقي صاحب السبق في انجاز تلك الحضارات وعلى مر العصور المختلفة الى الان، فعلاقة الانسان بواقعه انما كانت مجسدة بالفن وكل ما نجده من نتائج كان تعبيراً فكرياً عن مرحلة زمنية محددة عاشها ذلك الشعب. وعندما قال ماركس " الفن عبارة عن لحظة انسانية مرحلية تاريخية تصبح خالدة مستمرة بنفسها فكل فن يعبر عن عصره بتطلعاته وحاجاته الانسانية ولذلك يعد الفن جزء من حضارة الشعب " وضع الانسان العراقي على ارض وادي الرافدين الخصبة اولى لبنات الحضارة الانسانية التي استمرت حتى يومنا هذا.

عبرت حضارة العراق القديم في ازدهار العلوم والفنون ونظريات الفلك وكان التفاعل بين الانسان وبيئته. فالفن هو تفاعل الانسان مع بيئته وهو مجال التعبير الحقيقي عن تصوراته وعن حياته وبيئته بكل مكوناتها من ارض ومياه وحيوانات ونباتات وكذلك مناخها وتقلباته وتقديمها عبر صياغته الفنية والتحويلات الشكلية التي تكون قادرة على نقل المعارف والمشاعر الانسانية وتحويلها من اشكالها الطبيعية الى اشكال فنية جمالية ومن خلال ذلك نلخص مشكلة هذه الدراسة بالسؤال الاتي:-

هل هناك تحولات جمالية للأشكال الاسطورية في فخار العراق القديم؟

1.2. اهمية البحث والحاجة اليه:

نستطيع ان نجمل اهمية البحث والحاجة اليه في:-

- 1- محاولة لمعرفة التحولات الجمالية للأشكال الاسطورية في فخار العراق القديم.
- 2- معرفة جديدة ضمن مجال الفخار في الفنون التشكيلية للدارسين وطلبة كلية الفنون الجميلة والمختصين والباحثين بهذا الاختصاص.

1.3. هدف البحث: يهدف البحث الحالي الى:-

التعرف على التحولات الجمالية للأشكال الاسطورية في فخار العراق القديم.

1.4. حدود البحث

- 1- الحدود الموضوعية: وتعني بدراسة التحولات الجمالية للأشكال الاسطورية التي حركت الفخار .
- 2- الحدود المكانية: تمت الدراسة في العراق حصراً
- 3- الحدود الزمانية: العصر البابلي القديم (2004- 1500) ق.م

1.5. تحديد المصطلحات

- التحول

أ- لغوياً: تحول تحولاً، الحذف، وجود النظر، أو القدرة على التصرف(1، ص363) تحول: تنقل من موضوع الى موضوع، أو من حال الى حال، وعن الشيء: انصرف الى غيره (2، ص209). والتحول اشتق من الفعل حول وجاء في مختار الصحاح " حالت القوس واستحالت اي انقلبت على حالها واعوجت ". تحول والتحول التنقل من موضع الى موضع والاسم (الحول)، ومنه قوله تعالى: " خالدين فيها لا يغيون عنها حولاً" (3، ص163).

ب- اصطلاحاً: ورد في الموسوعة الفلسفية: كان القدماء يصنفون التحول والتغير، تبعاً للتقليد الارسطي الى ثلاثة اصناف:

- 1- التحول من اجل اللاوجود الى الوجود: وهي ما يسمى عندهم (الحدوث).
 - 2- التحول من الوجود الى اللاوجود: ويسمونه النفاذ.
 - 3- التحول من الوجود الى الوجود: وهي الحركة والتحول في الصنف الاول والثاني يصيب الجوهر فهو اما يكون (كون مطلق) أو (فساد مطلق) والتحول من الصنف الثالث يصيب الاعراض (4، ص 239).
- وقد اشار صليبيبا الى ان التحول في علم الحياة يطلق على علم التغير الذي يؤدي الى نشوء احوال اجتماعية جديدة (5، ص 259).
- ما تقدم نجد ان التحول هو الانتقال من حالة الى اخرى، وهو اما ان يكون تحول حدوثي اي انتقال من اللاوجود الى الوجود أو تحول فنائي اي انتقال من الوجود الى اللاوجود وهناك نوعان من التحول:
- 1- تحول جوهر: وهو تحول الحدوثي والتحول الفنائي.
 - 2- تحول اعراضي: وهو التحول الحركي.

- التعريف الاجرائي:

التحول: هو التغير الحاصل في بنية العمل الفني.

- الاسطورة

لغة:

جاءت لفظة اساطير في القرآن الكريم في قوله تعالى: " إن هذا إلا اساطير الاولين "، اي ان باستطاعتهم ان يسطروا من اعاجيب الاحاديث وكذبها والاساطير في (مجلد اللغة للرازي) تعني الاباطيل ، واحد الاساطير: اسطار واسطورة (6، ص 348).

اصطلاحاً:

الاسطورة، جمع اساطير: حكاية يسودها الخيال وتبرز فيها قوى الطبيعة في اشكال الهة أو كائنات خارقة للعادة، وشيع استعمالها في التراث الشعبي لمختلف الامم (7، ص 349).

وتأتي الاسطورة بانها مركب من القصص البعض منها حقائق دون ادنى ريب والآخر خيال، والتي يعتبرها الناس لأسباب مختلفة مظاهر للمعنى الداخلي لعالم الحياة البشرية (8، ص 19).

2. الفصل الثاني/ الجانب النظري

2. 1. مفهوم التحولات الجمالية:

تعد التحولات الجمالية من المفاهيم المؤثرة في بنية الفن بصورة عامة، فقد لاقت تلك المفاهيم الجمالية انتشار واسع في الاشكال الاسطورية في العراق القديم وتأثيرها في الحياة الاجتماعية من عادات وتقاليد الشعوب القديمة التي ادت الى تطوير العقل البشري وبناء التجمعات العمرانية المدنية والزراعية والاعمال الفنية وكذلك الصراعات الموجودة في ذلك الوقت بكل انواعها، وبناء الحضارات هو منبع تلك التحولات الجمالية، التي أوجدت الصراع بين الانسان والطبيعة حتى يتم تكيفها في المأوى وفي العمل، وخاصة الاعمال الفنية التي انجزت في تلك العصور وهذا دليل على ان مستوى التطور الحضاري في التحولات الجمالية الذي ارتبط ارتباطاً اساسي مع نوعية النتاج الفني الحاصل على مر العصور العراقية

القديمة فالتعبير المنبثق عن التحولات الجمالية هو استثارة الانطباعات والافكار، التي صيغت بالإبداعات الفنية بصورة عامة وعليه فأن دراسة التحولات الجمالية هي ضرورة من ضرورات معرفة النتاج الفني وتحولاته في العصور العراقية القديمة.

ونبدأ أولاً بتحول المفاهيم والمعتقدات والطقوس ذات الصلة الدينية لم تحدث بشكل هزات متتالية وعميقة في الفكر الانساني وانما كانت بمثابة تحول بطيء المسار وتدرجي من وع الانسان لوجوده الاول والمتمثل بالأطوار الحضارية من عصر ما قبل الكتابة وانضجه السومريون بأن اكسبه خصائص النظام ونتيجة ديمومة الممارسات اكتسبت صفة الرسوخ وبدأ يعمل فعله في الحياة الاجتماعية، مما اكسبه مدلولات روحية هامة جداً في بنية المجتمع السومري (9،ص31).

عبد العراقيون القدامى معبودات كثيرة منه الطوطمية فأنها الاصل الكلي لجميع اشكال الديانة الممكنة الابتدائية أو المعبودات الاولى وهي يمكن ان تقول أو نشير اليها انتشاراً عظيماً في كافة الشعوب القديمة بحيث ان هذا الشكل الديني بسيط جداً أو بالأحرى مختلط جداً وان النزعة الطبيعية وعبادة الاموات لتتصل به من نقاط كثيرة، وان الطوطم يدل على شيء يحيى القبيلة وكل عضو من اعضائها وكانت القبائل تسمى بأسماء طوطمها (10،ص291).

ومن هنا وجد الانسان فكرة الايمان بالقوى ذات القدرة المتفوقة على الطبيعة واستطاع ان يجسد ذلك في اعماله الفنية من تطورات هذه الطوطم والعقيدة الراسخة التي كان يمتلكها ويصورها في اعماله ورسوماته فيجعل من هذه الطوطم شعاراً له في حياته اليومية التي انتقل بها من مرحلة ابتدائية للدين الى مرحلة الالهة وعبادتها، لكن قبل الدخول من المعتقدات والطقوس الدينية يجب ان نذكر الطقوس السحرية التي رافقت الافكار الطوطمية وكذلك الطقوس الدينية (11،ص119) لعبت الطقوس السحرية دوراً هاماً في حياة سكان وادي الرافدين القديمة فاصبح السحر عقيدة بمثابة الروح من شعائر العبادة وتصوير تحولات جديدة لاسترضاء الالهة والقوى الخفية.

ان للتحولات ونمو المدركات الفكرية لأنسان العصور البدائية في وادي الرافدين وبفعل الملاحظة الدائمة لمظاهر الخصب في الطبيعة واختيار الرموز المناسبة ذات الفاعلية بهذا الخصوص بدء نشاط الانسان بتعبير اشياء من الطبيعة ويكسبها مضامين اجتماعية بصيغة التفاعل بين ظاهر الشيء وباطنه، فمن هذه المفاهيم لفهم الظواهر قامت فعاليات طقوسية ذات صيغ سحرية خاصة اعتمدت على انواع من الحيوانات. لكثرة التولد فالأعمال الفخارية والحجرية ويميزها بأشكال واقعية مثل الارانب والخنازير قد نفذها الفنان بأشكال مجوفة ووجود فتحة في اعلى الظهر لاحتواء نوع من السوائل ولاستخدامها في الممارسات والطقوس السحرية (12،ص19).

ان كل ظاهرة معقدة يمكن تقليصها الى بنية اساسية جوهرية وهي ظاهرة الدين وهي اعقد الظواهر المرتبطة بالإنسان ويمكننا ان نجد بنية التحولات الفنية في هذا المعتقد، فالإحساس الديني هو شأن لا نستطيع وصفه من الخارج يجد تعبيره الموضوعي الموصوف في المعتقد والطقوس الدينية تقوم على المعتقد الذي يعطينا المعنى والدلالة للموضوعات والاساطير تتسج من اجل توضيح المعتقد وترسيخه، والشرائح والاخلاقيات الدينية تصاغ من ايمان وتصورات كونية دينية معينة (13،ص111).

وان لتعاطف مدركات الانسان للتحولات الجمالية التي جاء بها انسان طور حسونه المستند الى الخبرة والتجريب بدء فكر الانسان القديم يستعيد وينفي مفردات الطبيعة ويلقي عليها مضامين اجتماعية وهي صيغة التفاعل الحاصل بين ظاهر الشيء وجوهرة وهو يرتبط بالمضمون الروحي والعقائد الاجتماعية فالتحولات

الفكرية والعقائد هس كامنه في النتاجات الفنية الاقدم في التاريخ للفن وهي التي تعيش في وسط بيئي ثقافي ذي طبيعة روحية اجتماعية (14،ص11) .

اما في طور سامراء فقد تحولت الافكار الجمالية والعقائدية والدينية على اناس سامراء ان يعلموا بكل جد لترويض تهديدات الطبيعة للبقاء ، لان معظم المستوطنات الحضارية السامرائية تقع الى الجنوب من المنطقة التي يمكن زراعتها بالاعتماد على وجود الامطار فلماذا كان على الانسان السامرائي ان يسخر قواه الدينية والعقلية للتنظيم فتنشئ تحول وهو فكرة (الزعامة) التي ساهمت في عالم معروف من الاعراف الاجتماعية بالإضافة الى ذلك كانت المعتقدات الدينية الحجر الاساس التي تقوم عليه الشعائر والطقوس ذات الصلة الجمعية وهذه كانت تشكل تحولات عصر سامراء الجمالية (14،ص56) .

بينما التحولات الجمالية والدينية لطور حلف وهي نتيجة ديمومة الممارسات في الادوار السابقة اكتسبت صفة الرسوخ وبدأ يعمل في الحياة الاجتماعية مما اكسبه مدلولات روحية في بنية الافكار الحضارية، فأكتشف شعب حلف ان الاشياء في الطبيعة يمكن ان تتحول الى ادوات سحرية قادرة على التأثير في العالم الخارجي بل وعلى غيره ووصل الى ان المستحيل يمكن ان يتحقق بالطقوس السحرية، ولهذا تشاهد فخاريات حلف ذات سطوح تصويرية كانت عبارة عن ودائع قبور اي انها كانت ادوات جنائزية ، ومن هنا يتضح ان فكرهم عقائدي بما بعد الموت، فوظيفة الصور هنا هي ادوات اعلامية كانت سحرية تعمل على تحويل بنية الحياة المعاشية الى بنية اخرى لا يميزها عن الاولى سوى صفة الخلود والشيات وعدم التحولات (14،148). نلاحظ استمرار التحولات الجمالية والحضارية خلال طور العبيد الذي شهد نقله حاسمه نحو حضارة المدينة التي حافظت على الفعاليات والطقوس القديمة وأوجدت طابعاً سياسياً بقيت محافظة عليه والي بدوره يبقى على الطابع الديني ضمن الحدود المرسومة لتقدم الخدمات المطلوبة كون التقدم أو التحول لأنسان وادي الرافدين كان ينطلق من ادراكه للأشياء فهو يتصور الالهة في علاقتها فيما بينها حيث يتصورها في شكل سلطة دينية وهو اذ يتصور المعبد في شكل سلطة سياسية موحدة للمجتمع. ان تحول نظام القرية البدائي الى نظام مدينة، تحول كذلك مزار القرية الصغيرة الى اعداد كبيرة من المعابد ومن هنا نشاء ما يعرف (المعبد) فقد اصبح مسكن الالهة الان كيانياً معقداً تتوفر فيه عدة مداخل لتنظيم دخول المتعبدين وخروجهم الذي يؤكد ضخامة الطقوس الدينية التي كانت قائمة باستمرار، ويوجد في هذا المعبد مكان مخصص لراحة الالهة ويتجسد ذلك بهيئة صور أو تمثال من الحجر أو الخشب أو المعدن يتيح له المثل للعيان (15،ص12) .

ولعل الفكرة الاصلية التي يمكن ان نوضح بها ان نشوء التحولات الجمالية والدينية في تلك العصور هو ان الكون في نسبة تفكيرهم ينتمي الى عالمين هما الواقع وما فوق الواقع اي عالم ظاهر ومحسوس وعالم يعج بالقوى الارواح غير منظورة وقد دخل عالم الوهم هذا محيطاً معرفياً في وعي الانسان في تحويل مثل هذه اللامرئيات الى منظومة من الاشكال الرمزية مانحاً اياها طاقة روحية عظيمة وهائلة الحيوية في طقوسه وشعائره الدينية ومثلها بإبداعاته الفنية(16،ص112).

كما شهد العصر البابلي تحولا في الدين فقد اكتسب الالهان ادد وعمورو(ما رتو) شعبية كبيرة كما شاع الفحص الطقوسي لأحشاء الحيوانات المضحاة وطريقة للاستخارة المقدسة الرسمية برزت اهمية العراق وصار كل انسان هو ابن ربة الخاص وادرك البابلي امكانية ظهور الهة متعددة توحى للرب احد (التفريد) فنفقوا في نص (نركال وهو مردوخ المعارك، زبابا هو مردوخ المزايح انليل هو مردوخ الشورى والحكم وشمش هو مردوخ الحق والعدل(17،ص14).

كان اهم ما يعمله البابلي النقي المتمسك بدينه ان يشترك بالموكب الطويلة المهيبة كالمواكب التي ينقلون فيها صورة مردوخ من هيكل الى هيكل ويمثلون فيها مسرحية موتة وبعثة المقدسة ويبدو ان هذه تمثيلات كانت وسيلة تأثير على الجماهير واذكاء لروح التضحية في نفوسهم ومن اجل المزيد من الاستيلاء على ما يملكون من خيرات بدليل ان الامر لم يكن مقتصرًا على معابد دون اخرى او ديانة دون اخرى وبدليل ان الفنون جميعها من موسيقى وتمثيلا ورقصا ونحتا وغيرها استخدمت في هذا المجال(17،ص58).

ان العقائد الدينية البابلية لم تكن تتعدى تقديم القرابين للإلهة وكهانتها طبقا لمراسيم المعمولة بها لان الانسان البابلي كان يعتقد ان مصدر كل خير انما يعود الى رضا الالهة عنه وهو أول واجب يقوم به الخوف من الالهة والواجب الثاني هو الدعاء والتضحية والصلاة اما بالنسبة للكهنة فكان الامير هو الكاهن الاكبر للإله المدينة وكان الملك هو الكاهن الاكبر للإله الوطني ويعمل تحت الكاهن الاكبر طبقات متعددة من الكهنة يطلق عليهم (سانجو) وهم ثلاث مراتب الاولى طبقة السحرة وهم الذين يستعطفون الالهة ويعبدون الارواح الشريرة والثانية طبقة المنجمون الذين يتنبؤون بالمستقبل اما الثالثة طبقة المنشدون الذين يرتلون الاناشيد الدينية (18، ص186).

وعلى هذا اعطى الفنان البابلي للإلهة خصائص يمكن بواسطتها تمييزهم لكي يمكن البابليين من التعرف على الهتهم حيث ولد التصوير البابلي سواء كان رسما ام نحتا وكانوا يمثلونهم أو يصورونهم في وضع التيجان على الرؤوس ثم تلا ذلك تصوير الالهة بملابسهم عندما يكون التصوير اشباههم. وخلال العصر الكيشي طابق الكيشيون الهتهم مع الارباب البابلية، فطبوق شيباك مع مردوخ، وخالا مع كولا وشوا مونا (راس المجمع الالهي الكشي) مع تركال و شورياش ع شمس كما ان تعاضم مردوخ وصل قمته في هذا العصر وتقدم لنا الاسماء المدونة على اختتام ومختلف النصوص كثرة الاسماء التي دخل في تركيبها مردوخ وكثرة رموز هذا الالهة وصورة (17،ص59).

لم تختلف التحولات الدينية الاشورية بصورة عامة عن أصوله وتقليدها عن التحولات البابلية ثم ان لم يكن له اثر فعال على نظام حياة الاشوريين ومن اجل ذلك لم يعد للدين سلطان على الحكم كما كان في الدولة البابلية . وكان الاله القومي هو (اشور) كما كان له المركز الاول بين مجمع الالهة وهو خالق البشرية كما كان الاله مردوخ في نظر البابليين (19، ص239).

2.2. الفكر الاسطوري القديم:

لعبت الاساطير القديمة دورا هاما في تنمية فكرة الوجود والعقائد الدينية وترسيخها لدى الاقوام القديمة وعندما نمت الحس الديني امنوا بوجود آلهة كمعبودات لهم كان للأسطورة دور بارز في ترسيخ عقائدهم من خلال الملاحم والتراويل والمرائي والامثال والحكم فضلا عن الاساطير التي عكست صورة واضحة عن شكل العقائد الدينية وهياكل الالهة وفكرة الوجود والتي تم تجسيدها في فنون العراق القديم كالنحت والفخار والاختتام الاسطوانية والرسم، وكل هذا الجهد المعرفي لهذا الانسان انما يؤكد حقيقة كون الانسان فانياً كان لا بد من ارضاء القوى الغيبية التي امن بها، كان الانسان البدائي يعيش في مجتمع مؤلف من اقرب اقاربه ولا يعرف من العلاقات الاجتماعية سوى الاسرية منها ولم يكن يرى فيها يحيط به الا صورة تلك العلاقة فالأرض والسماء والنبات والحيوان كلها في نظرة مجتمع اسري وكان يعتقد ان كل هذه الاشياء تفكر وتمتلك من الذكاء ما يملكه البشر ونشاهد هذه في الاساطير في اكثر الشعوب فكان ينظر بان هناك كائناً حياً يديرها ويقوم بها

ويعتقد ان لها حارساً يحميها فجاءت النماذج الاسطورية للآلهة الحرفيين والفلاحين والمحاربين وغيرهم(19)، ص(31).

وهذه الاساطير هي التي أوجدت العقيدة ورسختها في ما وراء الطبيعة ثم من شأن هذه العقيدة ان تتضمن بقاء انواع من السلوك يريد المجتمع من الكهنة بقاءها فما يرجوه الفرد من السماء من ثواب وما يخشاه اليها عقاب يضطره اضطراراً ان يذعن للقيود التي يفرضها عليه سادته أو جماعته، ونحن عندما ندرس بعض الصور البدائية للفكر الاسطوري القديم كدين المجتمعات الطوطمية مثلاً فأنا نشعر بالدهشة. عندما ترى الى اي حد يشعر البدائي بالرغبة والحاجة الى تميز جوانب بيئته وتقسيمها وتنظيمها وتصنيفها فالأمر ليس مقصوراً على قسمة المجتمع الانساني الى طبقات وقبائل وعشائر مختلفة في وظائفها وعاداتها وواجباتها الاجتماعية اذ يظهر تقسيم مماثل في شتى جوانب الطبيعة معالم الطبيعة صور مناظرة العالم الاجتماعي وتخضع النباتات والحيوانات الى نفس التصنيف فنرى ان البدائي يحاول فهم هذا العالم (19)، ص(32) قبل عشرة الاف سنة تقريباً اكتشف الانسان الزراعة ولم يعد الصيد مصدر طعامهم الرئيسي لاكتشافهم الواقع ان الارض مصدر انماء لا ينفذ، وانها لم تكن في نظر الاوائل مشروعاً دنيوياً صافياً بل كانت بمثابة صحوة روحية عظيمة وهبت الناس فهماً جديداً بالكامل عن انفسهم وعالمهم ، فتمت مقارنة اكتشاف الزراعة الجديد برهبة دينية، فعلى المزارعين اثناء حرثهم الارض وجمع المحاصيل ان يكونوا في حالة نقاء روحي، حيث شاهد المزارعون نزول البذور الى اعماق الارض واختراقها للظلمات لتجلب بشكل مدهش اشكال حياة جديدة، ادركوا ان هناك قوة خفية تعمل ابدأ حيث كانت الارض تحتفظ بالمخلوقات والنباتات والحيوانات داخل رحم حي(20)، ص(41).

من هنا اقترنت عبادة الارض بحيث اصبحت الارض هي (الام الكبرى) فالالهات التي ذكرت بالاساطير مثل (آيتانا أو عشتار) الى صور متأخرة نسبت لهن الارض لان الارض تنبت في احشائها الخيرات كما ان هذه الالهات تدلي بأنوثتهن على هذا الانسان، فقد ربط بين الزراعة والمرأة فأصبحت آلهات النبات سيدة الالهات جميعاً حيث ان معظم الارباب في العصر القديم كان من النساء(11، ص117) فعندما زرع الانسان القديم وحصد الغلة ربط بين خصب الارض ونمو النباتات وبين الآلهة التي اعتبرها مصدر الخصوبة فأمن بها ونمت لها صنماً بشكل امرأة مثلت الآلهة الام التي انتقلت عبادتها اليه من العصور السابقة وقد عثر على تماثيل كثيرة لهذه المعبودات في اوضاع مختلفة تظهر فيها المرأة عارية في الغالب وقد اكتشفت في قرية (جرمو) لنماذج من هذه التماثيل تمثل نساء بدينات حبالى التي ترمز الى الخصب والقوى المولدة وكذلك في قرية (حسونة) وقرية (الاربية) و(تبه كورا) القريبات من الموصل حالياً ومواقع اخرى تعود لعصور ما قبل التاريخ(21، ص15) .

لقد لعبت المكانة الاجتماعية للمرأة دوراً كبيراً في العصور القديمة في الصور المرسومة لها في ضمير الجماعة وان طقس الاسطورة فيها هي الاولى حيث يوجه آلهة واحدة هي سيدة الطبيعة في شكلها الوحشي وشكلها المدجن الجديد التي تشارك يد المزارع فيها ، فكانت وحيدة تتربع على عرش الكون وكان المجتمع امومياً في جوهره ، نجد الى جانب الالهة الذي ودعته في عصور الكتابة (بتموز) لا نعلم بأي اسم دعاها عبيدتها الاولون لكننا نعثر على تماثيلها في كل موقع هذه التماثيل التي بدت طينية صغيرة على شكل دمي وانتهت حجرية ضخمة تسكن المعابد الكبرى فيما بعد(22، ص25) .

ولما كانت الام الكبرى هي مصدر الاشياء وملأت الكون بالخصب واسباب النماء كقبة السماء الزرقاء تنتشر غطاءها فوق الارض هي الام الكبرى ورداء الليل المظلم الذي يبدو بلا اطراف هي الام الكبرى وان

ذهن الانسان قادر على التجريد والعالمان عنده متداخلان تتحرك بينهما الحدود وتتمحي السدود لا المادي منفصل عن الالهي واللا آلهي يعلو عن المادي كلاهما يعكس الآخر في مرآته ولعل اكثر مظاهر الكون هو تجسيد الام الكبرى(22، ص50) .

ان الامثال الصغيرة التي يرويها حكيم القوم سوف تروى مرات ومرات ولن يقاوم الراوي رغبته الملحة أو المشروعة في الاضافة اليها من عناصر جديدة نابعة من خياله الخاص ومن ظروف اجتماعية متجددة، تحيط الراوي الجديد، وعندما تأخذ الاسطورة شكلها المكتمل تكون قد عبرت عن طابع فني وفكري لشعب من الشعوب، الا ان هذا الشكل الفني لا ينفصل عن مضمونه الذي ينجو في اغلب الاحيان لان يكون تأمليا يقدم للمجتمع نظريات في السلوك والاخلاق والتوجيه الاجتماعي.

فان هذه الاساطير والامثال التي استخلصها المفكرين من المنظور والاحساس والذهنية الخاصة بثقافتهم التقليدية فأنها كانت تكيف مع الفائق الطبيعية في التفكير والشعور والحياة فهي بالحقيقة لم تكن تمثل بالنسبة الى هذه الحضارة ذاتها سوى الجانب المرتبط بالعالم العلوي والسفلي وكانت متطابقة جدا معها ومندمجة فيها في اصولها ونموها حسب الزمان ومنعطفاة(23، ص13). فسر الوجود الاسطوري نابع من رغبة الانسان في ان يجعل من العالم شكلاً يمكن السيطرة عليه من خلال عملية التخيّل فلقد كان الانسان يتعامل مع كل ظاهرة على انها قوة حية تكشف للإنسان في لحظة مواجهة لها عن فرديتها وصفاتها وارادتها وكان ينظر للحادثة عن مسببها وهذا ما يعرف الآن بـ(الفكر الميثوبي Mythope) اي الفكر الاسطوري الذي نحى في تفسير الاشياء منحى اسطورياً ، فسقوط المطر فسر على انه ناتج من تغيرات مناخية معينة لكن الانسان القديم فسره على منحى اسطوري على ان هطول المطر يعزو الى الطائر الكبير العملاق (انزو) الذي يأتي في اللحظة المناسبة ويلتهم النور السماوي رمز الجذب والجفاف(24، ص87) .

كانت القاعدة أو العقيدة العامة عند سكان وادي الرافدين القدماء ان الخلود في الحياة ميزة استأثرت بها الالهة في حين انها جعلت الموت نصيباً مقدراً على البشر منذ خلقهم، ومما لا شك فيه ان مبعث ذلك هو ان الالهة مسؤولة عن ادارة الكون بجميع مظاهره المعقدة التي تفوق بكثير عوالم البشر، ومن هنا فلا بد ان تتفوق الالهة على البشر بقدراتها وخلودها والا فان الكون يكون عرضة للفوضى والدمار حين موته وهو امر لا يستساغ حدوثه، ولكنه قد حدث حيث شابته البشر في تصرفاته وحتى في هيئاتها وهذه اعطت صفة التشبيه مما اعطى للآلهة الاقتتال والحرب مما يعرضها للقتل وهذه صفة مناقضة لصفة الخلود التي تميزت بها الالهة(25، ص44).

فلم تكن الاسطورة الا الاسلوب الوحيد الذي عبر من خلاله الانسان الاول عن افكاره الوجودية فنجد التصاوير والرسوم التي وجدت منقوشة أو منحوتة على جدران المعابد فكان القوم يصفون الفكر بالأشكال المختلفة فلشدة يقينهم بتلك الافكار انشأوا الاساطير وعلى جانبها نقشوا الرسوم التي عبرت عن ذات الافكار ولكن صبورة تمثيلية تصويرية بل انهم وبالتأكيد على قدسية هذه الافكار اولاً ولحفظها من ان تتال يد التحريف ثانياً نقشوها برعاية الملك والكهنة فوق جدران المعابد والقصور الملكية أو كتبوها على الواح طينية أو وضعوها داخل جرار فخارية ثمينة و حفظوها بالمعابد في ملكيات القصور الملكية(26، ص106).

ولهذا السبب تتحدث الاسطورة عن الدورة التي يمر بها المجتمع الانساني والتي يعتمد عليها جوهرة في الطبيعة ايضاً فلا تخضع دورات الفصول لقوى الطبيعة وحدها لان بينها وبين الانسان رابطة وثيقة لا تنفصم وتعد حياة الطبيعة وموتها جزءاً لا يتجزأ من الدراما الكبرى بموت الانسان وبعثه كما في ملحمة كلكامش وتشابه هذا الصدد طقوس الزرع التي نصادفها في كل الاديان مع طقوس المولد ، فالطبيعة ذاتها في حاجة

الى استمرار تجديد حياتها وعليها ان تموت لتستطيع ان تحيا ويؤيد هذا في اسطورة اينانا وديموزي وحتى اسطورة الطوفان السومرية والبابلية ، فمن هنا نجد ان الاساطير قد لعبت دوراً كبيراً في تحول الموضوعات الفنية على مختلف انواعها تبعاً للمعتقد الذي كان الهاجس الوحيد الذي ترسخ عند السومريين والاكديين على حد سواء ، فلهذا كانت الاساطير حفظت ودونت بشكل مرتبط مع مفهوم الدين، الا انه في العصر البابلي اصبح في اوج الكتابة لهذه الاساطير والتحول الحاصل الذي رافق هذه الاساطير سوى تغيير في اسماء الالهة والاحداث الا انه ظل محافظاً على طقوسية سير الاسطورة بالرغم من اضافة وحذف بعض التفاصيل مسيرة مع الفكر البابلي والوضع البيئي آنذاك للمحافظة على الطقوس الدينية في المجتمع البابلي.

ففي اسطورة الخلق البابلية جعلت الاله مردوخ هو المتسيد الخالق المنظم للكون والانسان وتروي الاسطورة التي تبدأ بـ (حينما في الاعالي) واسمها (اينوما ليتش) فيبدأ الصراع من جديد بين الخير والشر بين الاله الشاب مردوخ وبين تيامة التي تمثل قوى الشر (الظلام، العدم، الموت)، والاله مردوخ الذي يمثل (الضياء، الوجود، النظام) فهو يعتبر بدء دورة جديدة للحياة، وعودة سطوع الضياء على الارض البشرية(27، ص41).

وتروي اسطورة اخرى عن تطهير المعابد حيث تقول: انه في البدء لم يكن شيئاً ، لا قصبة ولا شجرة ولا بيتاً ولا معبداً ولا مدينة وان الاراضي كانت كلها بحراً ثم خلق الالهة وانشأت بابل وبعد ذلك خلق مردوخ اطار من قصب فوق سطح الامواج وخلق الناس بعون الام الالهة (أرورو) نينماخ المعروفة بالسومرية (تيتو أو ينتخرماج) ، وانشأت المدن ومعابدها وبيوتها من اللبن المشكل بالقوالب ، وبناء معبد مردوخ (الابسايجيلا) في بابل وتلت اسماء مردوخ الخمسين التي تسببت اليه من قوى الالهة العظمى في مجتمع الالهة(29، ص99) .

ان الفنان البابلي قد تحول من معتقداته في السحر الى حال التأليه لقوى الطبيعة ووجدانه غادر امواج الشك والريبة وعاش مطمئناً لان مواضيع التأليه منبعاً لشكه باعتباره ما بات يلاحظ الفعل الالهي عنده وتذبذبه بين الخير والشر والفضيلة والرذيلة التي تدخل الحيرة الى نفسه والشك حتى جاءت الالهة العظمى، فأخذ التحسس بالوجود يدفعه محل مشكلته الى فهم يعيد له استقراره وثقته وهو يسجل الامتتان لها بإنقاذه اياه من ذلك الفناء المطلق المتمثل بالطوفان الذي مثلته (تيامة) الذي يصفه الانسان البابلي بانه كالذبابسة تجمعت على قرايبه تطلب طعاماً ولكن الامر يتقسم عند البابليين حين نرى مردوخ قضى عليها ووضع الامن وابعده الشك في الزوال(28، ص182).

ان في هذه الاسطورة التي لا تخلو ايضاً من الموت والخلود بما اصابه الاله مردوخ حيث كانت الديانة في العراق القديم اشتهرت بموضوع موت الالهة وانبعاثها من جديد وهو من الزمن في العالم الاسفل حيث كان يواجه الموت فمن الشعائر التي تقام في اعياد راس السنة والتي تحدد فيها مصائر الملوك والناس للسنة الجديدة فيقوم الناس بنذبة وبيعثون عنه ابنه الاله (نبو) وزوجته (بيليت بابيلي) وبالتالي يتمكن من الخلاص من سجنه.

ومن هنا فان جميع التفسيرات للأساطير القديمة هي اولاً واساساً جمع من الافكار للمعتقدات التي كانت في عقول الاولين من تمثيلات الطبيعة وخصوبة الارض ودورة الحياة بالأخص هي تنظيم الكون وخلق الانسان والخوف من المصير اي الموت المحتوم فالفكر الاسطوري كما في الدين يزودنا وحده في الشعور تجاه العالم فالأساطير كتبت لكل حضارة وشكلت حسب ظروفها الطبيعية فالأساطير الاولى تتكلم عن خصب الارض وعن الالهة واساطير الابطال واساطير المآزق الطبيعية واساطير الصراع ما بين الخير والشر.

2. 3. المؤشرات التي انتهى اليها الإطار النظري:

- 1- ان التحولات والمفاهيم والمعتقدات والطقوس لم تحدث بشكل هزات متتالية وعميقة في الفكر الانساني وانما كانت ذات تحول بطيء وتدرجي.
- 2- ذكرت الالهة في العصور العراقية القديمة من خلال الاسطورة ان الكون موكول امره الى كائنات تشبه الانسان لكن لا ينالهم الموت ويدورون العالم ويتحكمون به وظهرت اساطير الصراع بين الالهة وبين البشر وبين البشر والحيوانات وبين الحيوانات نفسها.
- 3- حياة الانسان في العراق القديم تدخل في منظومة صراع طويل وعنيف مع البيئة حدد بنتائجه طبيعية المنجز الفني في العراق القديم.
- 4- تمثل الاساطير العراقية القديمة المصدر المهم لفهم الفكر القديم ودراسته والانطلاق في معرفة صورة الاله في ذهنية انسان تلك المرحلة.
- 5- معظم الاعمال الفنية لا تخلو من حس ديني وهذا يؤكد العلاقة الوثيقة بين الاله والانسان.
- 6- صور الفنان البابلي القديم والاسطورة بشكل اضخم من البشر واطول منه لتمييزهم واعلاء شأنهم.
- 7- بعض اللوح الفخارية كانت تصور مشاهد الحياة اليومية وكانت تصنع في البيوت من قبل فنانين هواة، اما اللوح الفخارية التي كانت تصور مشاهد الالهة كانت تحت بشكل جميل وتصنع من قبل فنانين محترفين.
- 8- تميزت الديانة في العراق القديم بتعدد الاسطورة، ولكنهم في الوقت نفسه كانوا يفردون بعض الاساطير ويفضلونها على الاخرى.
- 9- ظهور انواع جديدة من الاساطير والمخلوقات المركبة في تلك الفترة.
- 10- شهد العصر البابلي القديم حركة ادبية وعلمية وكذلك تضيف قوائم مطولة بأسماء النباتات والحيوانات والصخور.
- 11- ان فن وادي الرافدين يشير بمواصفاته الفنية الى اول تحسس يقوي ما وراء الطبيعة لذا نجده شهد ابداعات فنية اتصفت بالأبداع والخيال.

2. 4. الدراسات السابقة:

لم يعثر الباحث على دراسات سابقة من عنوان ومشكلة وهدف بحثه الحالي والذي يرمي التوصل اليها على حد علم الباحث.

3. الفصل الثالث/ منهجية البحث

3. 1. مجتمع البحث:

يشمل مجتمع البحث مجموعة من الاعمال الفخارية العراقية القديمة بوصفه قاعدة تأسيسية تحتضن عينة البحث التي ترمي الى تحقيق هدف البحث واعتمد الباحث في جمع نماذج العينة على ما هو موجود في المصادر المختصة التي تعرض ما هو موجود في المتاحف العراقية والعالمية وتمثل مجتمع البحث الحالي من الفترة البابلية.

3. 2. عينة البحث:

تم اختيار عينة البحث قصدياً على اساس محددات فنية وضعها الباحث للوصول الى نتائج اكثر علمية وموضوعية باختيار (4) انموذج، والتي تم اختيارها حسب الاتي:
مدى تأثير الاعمال المختارة بالأساطير والمعتقدات.

3. 3. منهج البحث:

اعتمد الباحث المنهج الوصفي التحليلي في تحليل عينات البحث كونه المنهج المتبع في دراسة الجانب الفني، وبما يخدم اغراض البحث ويحقق هدفه ويلائم الظاهرة.



3. 4. وصف وتحليل عينات البحث:

أنموذج (1)

الموضوع: آلهة عارية مجنحة

المادة: فخار

المرحلة الزمنية: العصر البابلي القديم

العائدية: المتحف البريطاني

يمثل هذا الانموذج لوحاً فخارياً نحتياً مستطيل الشكل يحتوي على اشكال واقعية رمزية نفذت بالنحت البارز تمثل الهيئة البشرية وهي المشيدة على المشهد آلهة عارية مجنحة بجناحين يظهران خلف ظهرها ويمتدان حتى فخذيهما وتقف بشكل مواجه للناظر فوق أسدين متدبرين برؤوس امامية واجساد جانبية ترتدي الالهة التاج المقرن ذا اربعة ازواج من القرون وتتدلى خصلتا الشعر على صدرها الذي نفذ بواقعية اما القدمان فانهما صورا على شكل ارجل طير جارج ووقف على جانبي الاسدين من كل جهة بومة واحدة نحتا بشكل مواجه للناظر اعتبرت قاعدة العمل الاسناد لأشكال الموضوع ومثلت بشكل مثلثات تشير الى طبيعة البيئة الجبلية.

يبدو من الشكل الظاهري للأنموذج ان العنصر المهيمن لبنية السطح التصويري هو الشكل الانثوي الذي وضع في وسط اللوح ومعالم منظر التاج المقرن والحلقة والصولجان رمز السيادة والسلطة بالإضافة الى امتلاكها جناحين يمثلان الحرية وتنقلها السريع من مكان الى اخر وبما الانتقال من العالم السفلي الى العالم العلوي وهذا ما اكده وجود الاسدين اللذين يمثلان رمز الموت والعالم السفلي ووجود البومتين وهما الطائران اللذان يختفيا في النهار ويظهران في الليل مما يجعله رمزاً محدداً للشر وحسب الاساطير ان البومة رمز للآلهة (ليليث) التي تغوي الرجال ليلاً .

ان الفنان حقق رؤية جديدة بارتباط اشكال الموضوع (أمراء، اسد، بوم) وحسب رموز هذه الاشكال والتي تعطي انطباعاً واضحاً عن فكر الوجود الانساني، فالبوم هو طائر الشؤم الذي يمثل العالم الاسود عالم السحر والشعوذة والذي يعيش في المناطق الجبلية والمهجورة نهاراً ويطير ليلاً، مما ادى الفنان في هذا النموذج جعل البومتين كبيرتي الحجم ليدل بهما على الليل واسراره المبهمة، اما الاسدان فهما دلالة القوة

والشجاعة ورمز من رموز العالم السفلي والمرافق للآلهة عشتار من خلال هذه الرؤية أكد الفنان على سيطرة الآلهة على عالمي الخير والشر ومن اظهر مفاتن جسمها وحركة يديها التي تعبر عن شارات السلطة والسيطرة واستلهاهما من الواقع الديني الاسطوري وهي السيطرة على الوجود اي (العالم الارضي) وبين اللاوجود (العالم الغيبي) فالعالم الحسي هو النور بالنسبة للبشر هو الذي يزيح الظلام لكن الموت المتمثل بالأسدين يزيح الحياة وهذا يختلف عما كان سائداً في العصور السابقة متمثلاً بالفكر البابلي الجديد واسقاطه على نتائج اعماله التي لاقت قبولاً نفسياً من المجتمع .



أنموذج (2)

الموضوع: رعاية الآلهة.

المرحلة الزمنية: العصر البابلي القديم

العائدية: المتحف العراقي

المعثر: بابل

يمثل هذا الانموذج فخاراً نحتيّاً مستطيل الشكل يحتوي على اشكال واقعية فيها نوع من الاختزال نفذت بالنحت البارز بصورة الآلهة من خلال ارتدائها التاج المقرن وهي تقف بشكل مواجه للناظر تحمل بيدها طفلاً والآخرى تحمل طعاماً تطعم احد الصبيين الموجودين خلفها وترتدي ثوباً طويلاً يصل حتى القدمين مزين بخطوط عمودية على كل طية من طياته بطريقة الحز وهناك رمزان على جانبي الآلهة يرمزان لها ويوجد على يسار ويمين الآلهة شخصان عاريان يجلسان القرفصاء وبشكل جانبي وينظران لها وفي اسفل اللوح وبمستوى قدمي الآلهة.

يبدو من المظهر الخارجي لهذا الشكل هي التي تأخذ صورة الآلهة في المشهد الرئيسي وتتوزع باقي مفردات العمل على اللوح بصورة متناظرة وهي تقوم بحمل احد الاطفال على صدرها لتقوم برضاعته وتطعم الثاني بيدها الظاهر راسه عند اعلى كتفها الايمن. ان انتاج هذا العمل ارتباط فكرة جديدة امثلها الفنان من المحيط الاجتماعي والذي استوعب طبيعة عمل تلك الاشكال ودلالاتها الرمزية على دورة الحياة البشرية بصياغة جديدة عمد فيها بإظهار الشكل الواقعي لمنحوتاته مستعيراً منها افكاراً لتمثيل موضوعة الحالي في اداء طقس ديني وان الآلهة هي التي تهب الاطفال وكبار السن والغذاء، فكانت الآلهة تؤدي دوراً وظيفياً لكونها الآلهة الام في افكار العراقيين القدماء واساطيرهم، فما تصوير الآلهة برعايتها للبشر الا كدلاله دينية جديدة تدل على قوة الآلهة وسيطرتها على ما حولها في الوجود الانساني، فتولت الاعمال الفنية بموضوعات مختلفة بهذا الخصوص فهناك الهة تتحكم بالبشر واخرى تتحكم بالحقول والمزارع وقطعان الماشية كآلهة (باو) سيدة الحقول والمزارع، ان تعدد الآلهة في هذا العصر قد لعب دوراً كبيراً في تحويل الرؤية تجاه الآلهة ومسؤولياتهم والسيطرة على مجرى الحياة مما دفع الفنان لإنتاج موضوعات دينية استلهاها من الفكر الاسطوري البابلي.

ومن هنا يتضح لنا ان موضوعات الالهة تعد تحولاً بالفكر الانساني على مستوى المشهد وما يجعله من دلالات ورموز امتزجت بث الواقع والخيال الاسطوري. فكان الفنان حراً في تمثيل المشهد بصورة واقعية ليخدم اغراض المعتقدات الدينية والسلطة السياسية في ان واحد.



أنموذج (3)

الموضوع: طقوس احتفالية من مشاهد حياتية

المرحلة الزمنية: العصر البابلي القديم

العائدية: المتحف العراقي

المعثر: ماري

يمثل هذا النموذج عملاً فخارياً نحتمى دائري الشكل يحتوي على اشكال واقعية ومركبة نفذت بالنحت البارز بصورة امرأتين عاريتين ومتناظرتين ويقفان بشكل جانبي ماعدا منطقة الصدر والايدي نفذت بشكل مواجه للناظر هناك بعض المبالغة في استطالتها ورشاقتها وحركتهما جسدها الفنان من خلال ضم الايدي اسفل منطقة الصدر والرجلين تبدوان بحركة مستمرة وكأنهما يؤديان رقصة ما، وتوجد في المنحوتة اشكال خرافية ومركبة وتبدو برؤوس كلاب واجسام بشر وذيل قرده احدهما نفذ بحالة الوقوف على يسار اللوح والاخران يجلسان القرفصاء احدهما بجانب المرأة اليمين والثاني باعلى اللوح وكل هذه الاشكال تنظر الى امرأتين ، اما في وسط اللوح فيوجد رجلان واحد اعلى من الاخر نفذ بحالة الجلوس ويبدو انهما يحملان الات موسيقية ويتضح من اشكال هذا اللوح انهما سابحة في الفضاء.

يعد هذا الانموذج من النماذج التي عملت لتمثيل مستلزمات من الحياة الاجتماعية والطقوس الدينية لإعطاء دور مهم لأداء الشعائر الاحتفالية وهذا واضح من الملامح التي افصح عنها اشكال النساء والتي تبدو من هيئتها ان الفنان بالغ في استطالتهن ورشاقتهم وحركة اجسامهن التي توحى بانهما امرأتان راقصتان تؤديان رقصة طقوسية، وما حملته اشكالهن من توصيفات دلالية على مستوى الوعي القائم على افكار الجماعة. فقد اظهر الفنان النساء بصورة عارية وربطها بفكرة الخصب التي كانت سائدة في المجتمعات آنذاك بمجموعة من الاشكال المركبة (رأس كلب وجسد بشر وذيل قرد)، ان لتأثير التطورات الثقافية في هذا العصر سبباً في اظهار احتفاليات بصيغ جديدة اختلفت عنها في العصور السابقة وخاصة للنساء الراقصات وهذا يدل على التحولات الجمالية عند الفنان وايضاً من خلال مشاهدتنا لإشكال مركبة تختلف عن تلك التي توجد على بدن القيثارة السومرية وتغيرات أو تحولات ايضاً اشكال العازفين في العصر البابلي عنها في العصر السومري ، فتغير الشكل من عصر الى عصر مع تحول المضمون بصيغ مختلفة تحمل دلالات ثم طرحها من قبل الفنانين في ذلك النماذج الفخارية النحتية.

ومن هنا فقد حقق الفنان في تلك النموذج تحولاً من خلال موضوعاته المختلفة التي نفذت بشكل واقعي لتقترب من الحياة الاجتماعية وبأشكال مركبة تقترب من الفكر الاسطوري.



أنموذج (4)

الموضوع: اله يطعن بسكينة كائن اسطوري

المادة: فخار

المرحلة الزمنية: العصر البابلي القديم

يمثل هذا النموذج عملاً فخارياً مربع الشكل يحتوي على أشكال واقعية ومركبة نفذت بالنحت البارز يصور اله يحمل بيده اله يطعن بها بيده اليمنى، اما اليد اليسرى فتكون ماسك بها راس او بقم هذا الكائن الاسطوري الذي يقف امامه ويكون راسه على هيئة قرص الشمس ويكون صورة بارز الى الامام بيده الى الخلف حيث كان اله يرتدي خوذة مقرنة وهذا ما يدل على انه يحمل سلطة وقوة ويكون ذات لحية مهيبه بالإضافة الى التأكيد على التشريح لإبراز العضلات التي باتت واضحة وكذلك تظهر للعيان تفاصيل الملابس بخطوط واضحة .

ان هذا اللوح الفخاري يصور لنا صراع بين الهة وكائن خرافي (التنين) كما اوردنا ان في صورة هذا الصراع نجد تشابه مع صور اخرى وردت لنا بشكل روايات اسطورية، من خلال دراسة التكوين الفني لهذا اللوح يلاحظ توازن الكتلتين داخل اللوح فالعمل متكون من كتلتين يتخللهما قضاء داخلي، صورة الالهة في هذا المشهد تبدو اسطورية يولد فيها الفنان صراع الالهة الذي يمثل قوى الخير وانتصاره على الكائن الاسطوري والذي يبدو ايضا اله وهذا الموضوع استقاه الفنان من الذاكرة العراقية التي جمعت بين ثناياها بحث هنا مثلت بشكل رمزي جمع بين الصورة البشرية وصورت احدى الكواكب، اما بالنسبة للخطوط المكونة في العمل تكون خطوط لينة متوازية وفي اتجاهات مختلفة تتناسب مع طبيعة الموضوع ووجود بعض الاشكال الحادة في راس الكائن الاسطوري كدلالة على قدرة التأثير على الاخر والتكرار في الخطوط وخاصة في لحية الالهة وملبسة وتاج الالهية الذي يرتديه وبهذا يبدو ان الفنان كان موفقاً في خطابة الفني والدلالي فالعناصر تخدم طبيعة بنية التكوين والعلاقات بينهما فحركة الخطوط والفضاءات وطبيعة الملمس والمادة تتناسب مع طبيعة الخطاب الذي حاول فيه الفنان ايصاله الى المتلقي.

4. الفصل الرابع

4.1. نتائج البحث:

1- ظهرت بعض من المنحوتات الاسطورية الانثوية في العصر البابلي القديم وهي عارية حاول الفنان هنا لتأكيد تناسق الاعضاء واخفاء مسحة من الانوثة عليها بيان المفاتن التي تميز بها جسد الانثى ويظهر ذلك في جميع نماذج عينة البحث.

2- أصبح الغرض من موضوعات المرأة في الاعمال الفنية قدسياً أكثر مما كان سحرياً حسب التحولات وكذلك لعبت الغريزة وحب الجنس الآخر دوراً في التعبير عن تلك الاشكال التي استلهمت فكرتها من الاسطورة كما في جميع نماذج عينة البحث.

3- امتازت المنحوتات الفخارية العراقية القديمة للعصر البابلي القديم التي تحمل صورة الاسطورة بالتأمل والتطلع الى الامام وبوقفة مواجهة للناظر وهذا ما يظهر في عينة رقم (1) .

4- صورت بعض المشاهد الاسطورية على اللوح الفخارية العراقية القديمة للعصر البابلي القديم بنوع من الغرابة ليخرج بها عن الشكل الواقعي ليأخذ طابعاً اسطورياً وظهر ذلك في عينة رقم (1، 2، 3).

5- تتنوع الفكر البابلي القديم بين ما هو ديني ودنيوي اسس لإنتاج اعمال فخارية متنوعة الاشكال والمواضيع تمثلت برعاية الالهة للبشر وصراعهم الدائم الاسطوري مثلت البداية عصر جديد ونهاية عصر قديم كما في عينة رقم (1، 2، 3).

6- رافق التحولات في افكار العصر البابلي القديم تحولاً جمالياً فرز نوع من الموضوعات الواقعية والمركبة المرتبطة بالطقوس الاحتفالية حيث لم تظهر في اي عصر من العصور فجسدها الفنان في اعماله كما في عينة رقم (4).

7- راعي الفنان جميع الفضاءات للألواح الفخارية العراقية القديمة للعصر البابلي القديم التي تحمل صورة الاسطورة فيلاحظ التوازن في فضاءات الألواح الفخارية ومنسجمة مع بعضها البعض وهذا ما يظهر في عينة رقم (1، 4).

8- صورة الالهة الذكورية في المنحوتات الاسطورية الفخارية العراقية القديمة عكس الفنان فيها القوة الجسدية من خلال اظهار العضلات وبشكل خاص عضلات الايدي والارجل كما في عينة رقم (4).

4. 2. الاستنتاجات:

1- صور الفنان العراقي القديم الاساطير بشكل واقعي بشري وذلك لتقريب صورة الاسطورة في الفكر العراقي القديم باعتباره الصورة الاقرب للمخيلة وبعض منها بشكل مركب بإضافات حيوانية وذلك لان بعض الحيوانات تملك قدرات لا يمتلكها الانسان وعند اضافتها الى هيئة الصورة بشرية تعطيها امتيازات اكثر .

2- صورت الاساطير بحجم كبير وذلك لتمييزها عن الصورة البشرية وشغلت مساحات كبيرة في المنحوتة الفخارية كدلالة على اهميتها باعتبارها اسطورة تعبد في تلك المرحلة الزمنية .

3- ابدع الفنان العراقي القديم عناصر التكوين واسسه لإظهار السمات الفنية والجمالية في اللوح الفخارية وذلك لا ضفاء مسحة جمالية على صورة الاسطورة بتلك الخبرة الفنية للفخاري في انتاج منحوتاته الفخارية .

4- صورة الاسطورة في المنحوتات الفخارية العراقية القديمة اكدت الهيبة والتطلع والمركزية والهيمنة وذلك لتمتع الشخصية الاسطورية من قبل بين الناس آنذاك واعتبارهم قوى عظمى يتحكمون بمقدرات البشر .

5- ان سبب ظهور الاساطير في المنحوتات الفخارية العراقية القديمة هو حاجة الانسان ورغبته الى الحماية والامن الذي توفرهما هذه اللوح بوصفها تعويذة شخصية ذات صفة دينية وسحرية معاتبين عقائد صاحبها وتحمية من كل اذى وشر .

6- ان الاشكال الاسطورية التي وردت في المنحوتات الفخارية لها دلالات نفسية ومعنوية عند العراقيين القدماء .

4. 3. التوصيات

في ضوء نتائج البحث التي اسفرت عنها الدراسة الحالية يوصي الباحث ما يأتي:-
ضرورة اطلاع دارسين الفنون والباحثين على الاساطير في المنحوتات الفخارية في العراق القديم وتحديداً في العصر البابلي القديم لمعرفة ما تحمله هذه الاعمال من ابعاد جمالية تعكس طبيعة المجتمع الذي ترعرعت فيه.

4. 4. المقترحات: في ضوء ما تقدم يقترح الباحث دراسة العناوين الاتية:-

1- الاساطير في المنحوتات الفخارية البابلية والاكديّة (دراسة مقارنة)

2- جماليات الاساطير الفخارية في العراق القديم للعصر البابلي القديم.

CONFLICT OF INTERESTS

There are no conflicts of interest

5. المصادر والمراجع

- 1- الشيرازي، الشيخ مجد الدين محمد يعقوب، القاموس المحيط، ج3، دار العلم للجميع، بيروت، لبنان.
- 2- النجار، محمد علي وآخرون: المعجم الوسيط، ج1، مجمع اللغة العربية، مؤسسة الصادق للطباعة والنشر، طهران، 2005.
- 3- الرازي، محمد بن ابي بكر عبد القادر: مختار الصحاح، دار الكتاب العربي، بيروت، 1981.
- 4- زيادة، معن: الموسوعة الفلسفية العربية، مجلد الاول، معهد الاخاء العربي، ط1، 1986.
- 5- صليبا، جميل: المعجم الفلسفي، ج2، دار الكتاب اللبناني، مكتبة المدرسة، بيروت، 1982.
- 6- محمد، بن ابي بكر عبد القادر الرازي: كتاب مجمل اللغة، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1994.
- 7- ريد، هربت: معنى الفن، ترجمة: سامي خشبة، ط2، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1986.
- 8- وليم، رايتز: الاسطورة والادب، ترجمة: صبار سعدون، ط1، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1992.
- 9- صاحب، زهير: الفنون السومرية، ط1، سلسلة عشتار الثقافية، اصدار جمعية التشكيلية العراقيين، دار ايكال لتصحيح والطباعة والنشر، بغداد، 2000.
- 10- لالو، شارل: الفن والحياة الاجتماعية، ط1، ترجمة: عادل العوا، دار الانوار، بيروت، 1966.
- 11- ديوارنت وول: قصة الحضارة، ج1، حج1، ط1، ت: زكي نجيب، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1965.
- 12- صاحب، زهير: دراسات في بنية الفن، ط1، مكتبة الرائد العلمية للنشر، الاردن، 2004.
- 13- السواح، فراس: دين الانسان، ط3، دار علاء الدين للنشر والتوزيع والترجمة، دمشق، 1988.
- 14- صاحب، زهير: الفنون التشكيلية العراقية (عصر قبل الكتابة)، اصدار جمعية التشكيليين العراقيين، مطبعة دبي، بغداد، 2007.
- 15- الطعان، عبد الرضا: الفكر السياسي في العراق القديم، ج1، دار الشؤون الثقافية العامة، وزارة الثقافة والاعلام، بغداد.

- 16- صاحب، زهير: اسطورة الزمن الغريب ، دار الاصدقاء للطباعة والنشر والتوزيع، بغداد، 2010 .
- 17- الاحمد، سامي سعيد: المعتقدات الدينية في العراق القديم، ط1، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1988.
- 18- عبدالحكيم، نبيلة حمد: معالم العصر التاريخي في العراق القديم، دار المعارف، الاسكندرية، 1982.
- 19- كاسير، ارنست: الدولة والاسطورة، ترجمة: احمد حمدي محمود، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1975 .
- 20- ارميترونغ، كارين: تاريخ الاسطورة، ط1، ترجمة: وجيه قانصو، الدار العربية للعلوم، 2008.
- 21- الدباغ، تقي: الفخار في عصر ما قبل التاريخ في حضارة العراق، ج3، دار الحرية للطباعة، بغداد، 1985.
- 22- السواح، فراس: لغز عشتار (الالهية المؤنثة واصل الدين والاسطورة)، ط6، منشورات علاء الدين للنشر والتوزيع والترجمة، دمشق، 1996.
- 23- السواح، فراس: مغامرة العقل الاولى (دراسة في الاسطورة)، ط13، دار علاء الدين للنشر والتوزيع والترجمة، دمشق، 2002.
- 24- علي، فاضل عبدالواحد: سومر اسطورة وملحمة، ط2، طباعة ونشر دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 2000.
- 25- حنون، نائل: عقائد ما بعد الموت في حضارة وادي الرافدين القديمة، ط2، دار الشؤون العامة، وارة الثقافة والاعلام، بغداد، 1986 .
- 26- مؤلفين من قسم الدراسات والبحوث في جمعية التجديد الثقافية والاجتماعية في البحرين: الاسطورة توثيق حضاري، ط1، دار كيوان للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، 2005.
- 27- القمني، سيد محمود: الاسطورة والتراث، ط3، المركز المصري للبحوث والحضارة، القاهرة، 1999.
- 28- كريم، صموئيل نوح: اساطير العالم القديم، ترجمة: احمد عبدالحميد يوسف، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1974.
- 29- علي، فاضل عبدالواحد: الطوفان، وزارة الثقافة والاعلام، بغداد، 1975.